أيديولوجيا الكتابة الأنثوية الجزائرية المعاصرة وتثمين الإبداع "قليل من العيب يكفي، لزهرة ديك" نموذجا

The ideology of contemporary Algerian Feminist writing and the Valorisation of creativity

is an example "A Little defect is Enough, for a dick's Flower"

ط. د: رضوان جهيدة
د. نوال قرين

قسم اللغة والأدب العربي- جامعة قاصدي مرباح - ورقلة (الجزائر)
مخبر انتماء النقد ومصطلحاته ، جامعة ورقلة.
redouanedjahida97@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2024/04/01	تاريخ القبول: 2025/02/06	تاريخ النشر: 2025/03/15

الملخص:

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى البحث في الأدب النسوي الجزائري، وحضور المرأة الجزائرية في الساحة الأدبية والنقدية؛ إذ حاولت التعبير عن كينونتها وعن هواجسها وآلامها وآمالها، من خلال كتاباتها نثرا وشعرا، فأثبتت وجودها وجدارتها في الإبداع والفن داخل الجزائر وخارجها، ظهورهن أكد ظهور الأدب النسوي الجزائري الذي تعددت مواضيعه ومميزاته من حيث الأسلوب واللغة وقيمه الفنية، فكيف كان حضور المرأة/الكاتبة فعّالا في الساحة الثقافية الجزائرية؟ وكيف استطاعت فرض سطوتها القرائية الإبداعية في زمن هيمن عليه النسق الذكوري؟

تهدفُ هذه الورقة البحثية للوقوف عند المعطيات الأيديولوجية والسمات الفنية والإبداعية للروائية الجزائرية زهرة ديك في مدونتها الموسومة ب "قليل من العيب يكفي".

الكلمات المفتاحية: الأدب النسوي، الإبداع، المُعطيات الأيديولوجية، زهرة ديك، قليل من العيب يكفي.

Abstract:

Through this study, we seek to research Algerian feminist literature and the presence of Algerian women in the literary and critical scene, as they tried to express their being, their concerns, pains and hopes - also - through their writings in prose and poetry, proving their presence and merit in creativity and art inside and outside Algeria. Their appearance confirmed the emergence of Algerian feminist literature, whose themes and characteristics varied in terms of style, language and artistic values. How was the presence of women writers effective in the Algerian cultural scene? How did they impose their creative reading power at a time dominated by the male pattern? This paper aims to explore the ideological data and the artistic and creative features of the Algerian novelist Zahra Dik in her blog entitled "A Little Shame is Enough".

***Key words**: Feminist literature, creativity, ideological data, Zahra Dik, Little Shame is Enough.*

*** *** ***

مقدمة:

اقترن فن الكتابة ومنذ القِدم بالعنصر الذكوري، وبالرغم من هذا فالكتابة لم تكن حكرًا على الرجال فقط، بل غَدتْ وسيلة تعبير فعّالة بيد المرأة تمتطيها لتُعبر عما يجول بخاطرها، وقد ظهرت الكتابة النسوية في الجزائر خلال الستينات من القرن الماضي كمفهوم نقدي وجمالي على الساحة الأدبية، رغم أنها ظهرت متأخرة جراء الأوضاع التاريخية والسياسية والاجتماعية المُتردية التي عرفتها الجزائر في الحقب الماضية، وبالتالي لم تكن هذه الظروف سانحة لخلق فضاء يُمَكِّن المرأة الكاتبة من ولوج عالم الإبداع واستنطاق مكنوناتها الذاكرة وأوجاعها.

لم تكن شعرية الكتابة محصورة في الكتابات الذكورية فحسب؛ فقد تمكّنت المرأة بفعل كتاباتها السردية من فرض نفسها ومن تجاوز مكانتها التبعية للسلطة الأبوية، وباحت في متونها المحكية عن معاناتها من تعسف الذكورة، وأبانت عن بوادر التمرد ضد الأنساق الثقافية التي حطت من الوجود والإبداع الأنثوي، كما أتاحت الرواية النسوية للمرأة فرصة لمنافسة الكتابة الذكورية بما تميزت به من خصوصية أدبية تختلف عما يكتبه الرجل، ومن هذا المنطلق سنُدرك نسق الكتابة الروائية بين سؤال

الإبداع وخصوصية الإنتاج، فهل وُفقت المرأة الجزائرية في الكتابة الخاصة بعالمها؟ وكيف كان حضورها في الساحة الثقافية الجزائرية؟ وما المكونات الفنية التي وسمت الكتابة النسوية؟ وفي هذا الصدد وقع اختيارنا على الروائية الجزائرية "زهرة ديك" للوقوف عند أهم المُعطيات الأيديولوجية والسمات الفنية والإبداعية في مدونتها الموسومة بـ قليل من العيب يكفي".

2. إشكالية المصطلح في السرد النسوي:

يُعدُّ مصطلح الأدب النسوي مصطلحًا إشكاليا دارت حوله العديد من المناقشات والمناظرات الأدبية، فالبعض ينفيه لأن الأدب هو إنتاج إنساني عام بغض النظر عن جنس من كتبه، ليتأرجح المصطلح بين التأييد والمعارضة من قِبل النُّقاد والأدباء بما فيهم المرأة الكاتبة .

عَرَفَ الأدب النسائي مُسمّيات عديدة، لكن كلها تصبُّ في قالب واحد كونها ذات دلالات متقاربة تصل إلى حد التشابه أحيانا كون قضية الإبداع النسوي قضية قديمة جديدة، فهي بذلك قضية متجددة، لكن مصطلحات الخطاب النسوي والنقد النسوي والنظرية النسوية مصطلحات تنتمي إلى مرحلة ما بعد الحداثة، فقد ظهرت مع قضايا ومصطلحات أخرى، مثل :الأدب الكولونيالي والنقد الكولونيالي وكتابات الزنوج1، حيث يعود ظهور مصطلح الأدب النسائي في الساحة العربية والثقافية والنقدية والأدبية إلى سبعينيات القرن العشرين.

لقد تعدّدتْ الآراء وتضاربت حول تحديد المفهوم وضبطه، فهناك عدّةُ تسميات، منها: الأدب النسائي، الأدب النسوي، أدب المرأة، أو الأدب الأنثوي... وغيرها من المصطلحات التي أضاف لها النقاد والباحثون العرب جملة من المؤلفات قصد تأويلها وتفسيرها، ولعلّ هذا التنوع المفاهيمي الذي يحمله المصطلح يوحي إلى اللُّبس الذي طبع المقاربات النقدية في محاولاتها لتأطير ظاهرة الكتابة النسوية، إلا أن هذا لا ينفي وجود العديد من النقاد والناقدات ممن قاربوا هذا المصطلح وبحثوا في أسباب التسمية، وكذا حدودها التنظيرية.

في ضوء هذه الإشكالية ميّز شكري عزيز الماضي بين الخطاب النسوي والخطاب النسائي قائلا: " فالخطاب النسائي يدل على الأعمال والكتابات التي يبُدعها الرجال والنساء معا، وتقفُ المرأة وتعالج قضاياها وأحوالها وتاريخها وسبيل تحررها، أما الخطاب النسوي فيدل على الأعمال التي تنجزها المرأة

فقط"2، كما بيّن أن الإبداع النسوي هو " الإبداع الذي تنجزه النساء سواء أكان متصلا بقضايا المرأة والمعايير المزدوجة أم معالجا قضايا أخرى عامة"3.

من خلال هذا يتضح أن الأدب النسائي مصطلح يشمل ما تكتبه المرأة والرجل معا، بشرط أن تكون مواضيع الكتابة مُتعلقة بقضايا المرأة فقط، في حين يُطلق مصطلح الأدب النسوي على ما تكتبه المرأة فقط بغض النظر عن المواضيع التي طرحتها الكاتبة، كما نجد رضا الظاهر يتشابه مع شكري عزيز الماضي من حيث التمييز بين مصطلحي الكتابة النسائية والكتابة النسوية، غير أنه يختلف معه في وجهة النظر حين يرى أن مصطلح الكتابة النسائية يعني ما تكتبه النساء من وجهة نظر النساء أو عن الرجال أو عن أي موضوع كان، أما "مفهوم الكتابة النسوية: يعني الكتابة التي تعالج قضايا نسوية، سواء كانت هذه الكتابة من إبداع امرأة، وهو الاحتمال الغالب لأسباب معروفة ومبررة أو من إبداع رجل وهي نادرة"4.

كما نجد إدوارد الخراط ينعتُ نص المرأة الإبداعي ب" كتابة البنات"؛ إذ يرى أن كتابة البنات تتماثل في بعض الأحيان مع كتابة الصبيان، إلا أنها أكثر شاعرية وأقرب إلى الرومنسية منه، فقد استطاعت المرأة أن تصوغ نصوصا إبداعية رومنسية أنثوية لتدلل على أنها استطاعت ومن خلال هذه الأنوثة أن تطرح قضايا حساسة بوعي وإدراك عميقين5.

وبالرغم من شيوع مصطلح الأدب النسائي في الساحة النقدية إلا أنه لقي نوعا من الرفض لدى الناقدات النسويات، وربما هذا ناجم عن شعورهن بالتهميش والدونية التي رسمها الخطاب الذكوري، مما دفع إلى النفور من استعمال هذا المصطلح، والدليل على ذلك قول بثينة شعبان: "إن عبارة أدب نسائي مازالت تستخدم كعبارة مهينة، أو على الأقل تنبؤ بنقص ما، وهذا سبب مقاومة معظم الكاتبات العربيات لتصنيف أدبهن على أنه أدب نسوي"6.

ومن وجهة نظر أخرى ترى رشيدة بن مسعود أن مصطلح نسائي يشير إلى دلالات الاحتقار، وفضّلت مصطلح "مؤنث "الذي يكون أعمّ وأشمل من مصطلح نسائي، كما أن مصطلح الأدب النسوي هو أكثر دلالة على ما تكتبه المرأة وما تحمله من خصوصيات تجعل منه ظاهرة مميزة وعلامة دالة في حقل الإبداع الأدبي.

ومن بين المواقف الرافضة لمصطلح الأدب النسائي نجد موقف "غادة السمان" لأنها ترى أن "الأدب واحد، لا يمكن تصنيفه إلى أدب رجالي وآخر نسائي رغم اعترافها بوجود خصوصية في أدب المرأة، كما ترى أن جذور هذه التسمية نابعة من أسلوبنا الشرقي في التفكير"7.

وبالتالي فإن تصنيف الكتاب والكاتبات يجب ألا يخضع لتمييز جسدي وإنما لتمييز فكري.

وتتخذ الناقدة" يمنى العيد "الموقف ذاته المتمثل في رفض المصطلح "الأدب النسوي" باعتبار أن خصوصية هذا الأدب ليست ثابتة فهي رهينة الظروف وتختفي هذه الخصوصية بزوال أشكال القهر الاجتماعية الممارسة على المرأة.

مما سبق نستنتج أن مصطلح الأدب النسوي/النسائي يبقى مسألة يسودها الاضطراب وتعدُّد الآراء المتراوحة بين الرفض والقبول لاعتبارات فكرية، تاريخية، اجتماعية مختلفة، وهذا ما جعل المرأة تلجأ إلى الكتابة وجعل القلم وسيلة لحضورها وبروزها بقوة قصد مواجهة الآخر (الرجل) بل ومنافسته في مجال الإبداع والثقافة والفن .

3. استشراف تاريخ الكتابة النسائية في الجزائر:

تأخّر ظهور الكتابة النسوية في الجزائر مقارنة بالبلدان العربية الأخرى، ومَردُّ هذا التأخر الاستعمار الغاشم الذي عمد إلى طمس هوية الشعب الجزائري وانتشار الجهل والتخلف، إضافة إلى التقاليد الاجتماعية التي كانت تحتقر المرأة، وترى أن وجودها في الحركة الاجتماعية والثقافية والأدبية يُثير الفتنة ويشجع الانحلال، فكبحها وقيّد طاقتها الإبداعية، فكانت المرأة المتضرر الأكبر لوجود هذه التقاليد التي كانت تحاصرها وتكبحُ كل طموحاتها، باستثناء القلة القليلة من محظوظات المدن الكبرى اللائي استطعن أن يتعلمن ويتخذن من اللغة الفرنسية وسيلة للكتابة، والظهور في الساحات الأدبية خارج الجزائر، وكانت بادرة هذه الكتابة عند" آسيا جبار"، فضيلة الفاروق"، "ناديا قندوز".....وغيرهن.

لهذه الأسباب وغيرها لم تظهر الكتابة النسائية في الجزائر إلا حديثا، ويُعزى الفضل في ذلك إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي عملت على تعليم المرأة، ومن ثمار تعليمها ظهور حركة ثقافية متواضعة سنة 1954 على صفحات جريدة البصائر العربية ببروز الكاتبة" زهور ونيسي" التي أسهمت بشكل كبير في بناء الحركة الأدبية النسائية في الجزائر، وأخريات مثيلاتها كزوليخة السعودي، وجميلة زنير، وأحلام مستغانمي،...وغيرهن اللواتي أثبتن وجودهن في الساحة الأدبية بفضل الصحف والدوريات

في جزائر الاستقلال، وذلك من خلال نشر أعمالهن الإبداعية والتعريف بهن8، ومن بين العوامل المساعدة على توسع الحركة النسوية وإيقاظ المرأة الجزائرية الأوضاع السياسية التي عرفتها الجزائر في فترة ما بعد الاستقلال، وكذا إتاحة الفرص للمرأة ومنحها الحق المجاني في التعليم وتطوير وضعها الاقتصادي والاجتماعي، وتخلصها من العادات والتقاليد البالية، كما سهّلت عليهن فضاءات النشر في المجلات والجرائد الوطنية والعربية، وكان لمجلة" الجزائرية "دور كبير وهام في نشر الكتابات النسوية الجزائرية.

خاضت المرأة الجزائرية التجربة الإبداعية ومارست فعل الكتابة في كافة الأجناس الأدبية، فأثبتت بذلك حضورها بقوة خاصة في المجال السردي، وأنتجت فيه نصوصا قصصية وروائية ذات قيمة فنية، بداية مع المجموعات القصصية لزهور ونيسي" رصيف الأزهار"، "روسيكادا"، "عجائز القمر"....ثم مارست الكتابة الروائية، وكان أول نص روائي بعنوان "يوميات مدرسة حرة"، لتتوالى فيما بعد النصوص الروائية النسائية الجزائرية في الظهور، نذكر منهن :الروائية أحلام مستغانمي من خلال: "ذاكرة الجسد" "فوضى الحواس"... إلى جانب" فاطمة العقون "بنصها الروائي" رجل وثلاث نساء"، وزهرة ديك بروايتيْها "بين فكي وطن"، و"قليل من العيب يكفي"، بالإضافة إلى" ياسمين صالح "بروايتها" بحر الصمت "وكذلك فضيلة الفاروق من خلال رواياتها : "مزاج مراهقة "، "تاء الخجل"، و"اكتشاف الشهوة"، وقد عالجت هذه النصوص السردية مختلف القضايا النسوية التي تتعلق بالقهر والسلطة الذكورية للذات الأنثوية في شتى المجالات الاجتماعية والسياسية والحضارية وبواقعها الذاتي الذي كان يُعبر في كثير من الأحيان عن كونها ضحية المجتمع والإرهاب وتعرضها للقهر والاغتصاب، لتكون نهايتها في الأخير إما الانتحار أو الموت.

4. استشراف تاريخ الكتابة النسائية في الجزائر:

تميزت الكتابة النسوية في الجزائر بالتجديد والتنوع من ناحية المواضيع، واشتراكها في الإبداع والتحرر والوعي؛ حيث تناولت ثيمات الجنس، الزواج المُرغم، العُنف، و الإجهاض.... إلخ، كما تمكنت المرأة/ الكاتبة الجزائرية من اقتحام التجريب السردي، فجمعت بين الإبداع والأيديولوجيا، مُكسّرة حواجز الجمود والعزلة، مُحاولة سدّ الفراغ العاطفي الذي أهمله الرجل/ الكاتب، كما نوّعت في كتاباتها؛ حيث أحدثت نمطا جديدا، مما أكسبها خصوصية وجمالية في الأسلوب باستخدام اللغة بشكل انزياحي، واختيار المفردات الجديدة والغريبة وكسر الطابوهات، بالإضافة إلى الأحاسيس الصادقة.

كتبتْ المرأة الجزائرية باللّغتين :الفرنسية والعربية، واختارت مواضيع :الوطن ذلك أن أغلب الروايات النسائية غلب عليها موضوع الوطنية وحب الوطن، فاهتمت بقضايا وهموم جزائرها، وكل ما جاء فيها من أحداث بطولية تصفُ الأزمة التي مرت بها البلاد خلال العشرية السوداء، مُبينة من خلال كتاباتها مدى حاجتها إلى السلم والحرية والأمن في الوطن الواحد.

ومن المواضيع المُعالجة نجد موضوع المرأة ، باعتباره موضوع الخصوصية في المُتونات المحكية الجزائرية؛" إذ يحكي قصة المرأة في علاقتها بمجتمعها، وما تصبو إليه من طموح للحرية والتحرر ، كما أن المرأة في الكثير من كتاباتها تُظهر تمرّدها على الواقع الاجتماعي المألوف التقليدي، فنجدها تُعبر عن شعورها الأنثوي وتلامس كلماتها رغبتها الجنسية وتستأنس بشهواتها الدائمة التي لا تنقطع.9، إضافة إلى مواضيع أخرى كالحرية، الاختيار، و مقاومة الذكورة ...وكان هذا التنوع في المواضيع سواء من ناحية مشاركتها في الكتابة والتأليف، أو من ناحية معالجة قضية المرأة في الدراسات الأدبية، كرواية" ليلى " لجميلة دباش" التي صدرت عام 1947، ورواية فتاة الجزائر الصادرة عام 1955، وتعد أول امرأة جزائرية تنشئ مجلة مختصة بشؤون المرأة وذلك عام 101947.

تنوّعت المواضيع والأيديولوجيات عند كاتبات الجيل الجديد، وهذا دليل على رغبة المرأة في فرض شخصيتها وطرح انشغالاتها والنهوض بالأدب النسوي الجزائري بالرغم من كل ما مرَّ بالجزائر في التسعينات من انقلاب أمني وانتشار القتل والخطف وكل أعمال العنف، إلا أن الساحة الأدبية لم تخلُ من الأعمال القيّمة، مثل روايات زهرة ديك: "في الجبة لا أحد"، "بين فكي وطن"، و"قليل من العيب يكفي" وكذلك رواية شهرزاد زاغر "بيت من جماجم".

إنّ المشكلة التي تواجهها المبدعات الجزائريات هي عدم الاستمرارية في الكتابة والاختفاء عن الساحة الأدبية، وقد لوحظ غياب كاتبات جزائريات عن المشهد الثقافي العام، وفي بعض الأحيان بروزهن ومن ثم اختفاؤهن، وهذا راجع إلى أسباب عدة، نذكر منها: ظروف النشر الصعبة، وغياب التعزيز الإيجابي، علاوة على ضعف حركية النقد والاهتمام، "فالكتابة تتطلب كثيرا من الحب والشجاعة في مجتمعات لا ترحم المرأة دائما، فما بالك بالمرأة التي تعلن عصيانها عن طريق الكتابة والإبداع، تلك التي تدفعها الكتابة إلى أن تكون في مقدمة المواجهة مع تخلف البيئة وبؤس الواقع الذي تعيش فيه"11.

عبّرت الكاتبة الجزائرية عن كل ما يجولُ بخاطرها في حدود ما سمحت به ألفاظها، فكتبت في كل الأغراض وتفوّقت خصوصا في الجانب السردي، الذي تنوعت مواضيعه، وكشف عن ملامح وخصوصية الكتابة السردية النسوية الجزائرية، ومنهُ استطاعت المرأة الجزائرية ولوج عالم الإبداع محسنة استغلال فكرها واستعمال ذكائها في استخدام الكتابة للتعبير عن انشغالاتها ومعالجة القضايا الهامة التي تخصها وتخص مجتمعها.

5. خصوصية الكتابة الأنثوية بين المعطى الأيديولوجي والسمات الإبداعية:

قراءة في رو اية" قليل من العيب يكفي" للرو ائية زهرة ديك

أثبتت الكاتبة والإعلامية زهرة ديك مكانتها وقدرتها الإبداعية والفكرية من خلال أعمالها الأدبية ؛ حيث أخذت متوناتها المحكية مكانة في المشهد الثقافي العربي والعالمي، وانتزعت الكثير من الجوائز نظير أعمالها الجريئة، وعناوين رواياتها المثيرة التي عوّدت عليها قُراءها، وقد صدر لها سنة 2009م، رواية موسومة ب"قليل من العيب يكفي"، وهي من الروايات الكاشفة عن العيب الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وكل ما يتعلق بالظلم والاضطهاد والعزلة والفقر...، وكل أنواع الاحتقار التي يعيشها المجتمع عموما والفرد الجزائري خصوصا، كما توضح للقارئ أن أمتنا تفتقد –فعلا- للعدالة الاجتماعية والكرامة الإنسانية والقيم الأخلاقية.

انطلقت فيها الكاتبة من رؤى نفسية وفلسفية؛ حيث تعرض فيها صراع الفرد مع الأنا، واتخذت من الإنسان الجزائري تيمتها الأساسية فجاء مليئا بالهواجس والأحداث التي لا تنتج إلا عن الجزائري والأشياء التي تشبهه، فكانت الرواية صرخة من أعماق الضمير البشري ومن تحت حطام الذات البشرية الجزائرية التي تضحك على الواقع في عز انكسارها، وتثور حتى على ذاتها، لكنها تجمع في الوقت نفسه بين الأمل والألم في عناق يشبه الحلم كالتماس بين الحكمة والجنون.

تُعد مدونة "قليل من العيب يكفي" ثالث عمل روائي لزهرة بعد "في الجبة لا أحد" و "بين فكي وطن"، وتمتد أحداث روايتها الأخيرة على حيز 352 صفحة و40 فصلا غير معنون، وفي بعض الفصول استهلتها الروائية بحكمة أو عبرة تحكي فيها عن الواقع الجزائري، كما عالجت أربع حكايات، تختلف كل واحدة عن الأخرى، عبر أربع شخصيات رئيسية مع وجود شخصيات ثانوية، لكنها موصولة بشكل ما بالشخصية المحورية "بهتة"، كما تشتمل الرواية على جميع المواضيع الحياتية التي تلامس المجتمع الجزائري، حيث تتعدد مصائر شخصياتها وتتقاطع فيما بينها في فضاء يمتزج بين الواقع والخيال؛ إذ أصرّت الكاتبة أن تعج روايتها بالحياة والتفاصيل التي تصنع أقدار أبطالها، وترصد في آن واحد تقلبات

مواقفهم ووقفاتهم مع الذات ورؤيتهم للأحداث على الطريقة الجزائرية البحتة التي لا يتقنها إلا الجزائري، كما تعمدت سبر عمق المجتمع للوصول إلى الدافع الذي سرق من الجزائري فرحته وكدر علاقته مع نفسه، ومع الأشياء من حوله ووطنه.

تدور أحداث الرواية في الوسط الإعلامي؛ حيث تبرز شخصية الصحفي "بهتة" المليئة بالانتصارات والخيبات، يخوض صراعا مستميتا مع ذاته، لكي يعرف لماذا هو إنسان محطم؟ ولماذا علاقته غريبة مع نفسه، ومع الأشياء، وربما مع وطنه؟ وفي إصراره على معرفة السبب يخرج من ذاته ويحتمي باللامعقول، ليختار العيش في تماس مع الجنون.

تجد زهرة متعتها في الكتابة عندما يبوح اليراع بأشياء لا يمكن قولها، أو حتى فعلها في الواقع، مما يتيح لها فضاء للجرأة والحرية، واقتراف المحلل والمحرم وكسر للطابوهات، لذا نجدها تتسلح بكثير من الجنون محاولة أن تجعل منه قابلا للكتابة، كاشفة عن الأيديولوجيات السائدة في واقع المجتمع الجزائري المعيش.

1.5 خصوصية الكتابة النسوية في العتبات النّصية/ العنوان:

لعلَّ أوَّل ما يُلفت انتباه القارئ هو العنوان، على اعتبار أنه عنصر أساسي في الرواية، وهو الذي يُحدد محتواها، ما جعل الدراسات تهتم به، وتوليه أهمية بالغة، وتجعله في أعلى مراتب الاتصال ، كونه يمثل شبكة من العلاقات، فالعنوان "يُشكل أعلى اقتصاد لغوي ممكن، يستطيع من خلاله المؤلف أن يلفت انتباه المتلقي إلى قراءة عمله"12، لأنه يُعلن عن قصدية المنتج أو المبدع، وأهدافه الأيديولوجية والفنية"13، ولذلك أخذت قيمة النص تتركز حول مدى قوة العنوان أو ضعفه، وقد انتقت الروائية عنوانا لمدونتها وسمته ب "قليل من العيب يكفي"، وليس الأمر بالغريب، لأنها عودت قُراءها على العناوين المبهمة والمثيرة، والتي تجد فيها متعتها، والظاهر أن العنوان لم يكن عنوانا اعتباطيا أو عشوائيا، إنما عنوان له دلالاته وإيحاءاته المتعددة.

يتكون العنوان في شقه المعجمي من أربع كلمات، ولكل كلمة دلالتها المعجمية، لكن إذا تأملناه دلاليا فإننا نجد أن معناه ينحو منحى آخر؛ إذ أن المقصود من العيب ليس العيب المتعارف عليه لغويا، والذي ينحى ناحية الخلل والزلل وارتكاب المحظور، إنما له معان حملتها له الكاتبة، ولعل المقصود من كلمة العيب في هذا العنوان التهميش والإقصاء ومختلف حالات الفشل التي يعانيها الفرد في حياته، إنها

عيب الفوضى والغرابة والاغتراب، ولم تكن تقصد الروائية العيب بمعنييه الحسي والجنسي، خصوصا أن لفظة العيب في مفهوم العامة تُحيل مباشرة إلى العار و المحرمات، ولم تعمد كذلك إلى كسر الطابوهات، كما أنها لم تنو تغليط القارئ أو غشه من خلال عنوانها، لكنها كانت تقصد ذاك الكم من العيب الطاغي على تفاصيلنا ومصائرنا وعلى حياتنا ككل.

كما قد يعتقد القارئ للوهلة الأولى أنه سيكون أمام كم هائل من العيب سيلقاه داخل المتن الروائي، ليجد نفسه أمام عيوب أخرى في ظل السياقات الاجتماعية للفرد الجزائري.

2.5 خصوصية الكتابة النسوية في المتن الروائي "قليل من العيب يكفي":

ارتكزت الرواية في بنيتها السردية على الشخصيات والزمان والمكان ككل رواية، غير أننا نلتمسُ اختلافا في طريقة تعامل الكاتبة مع هذه العناصر حسب طبيعة الموضوع، ومن خلال أحداث الرواية نجدها توزعت على أربع مفردات تقودهم شخصية محورية، تحمل اسما رمزيا "بهتة" وهذه الشخصية هي البطل الرئيسي للرواية، إنسان مثقف، يبلغ من العمر 45 سنة، يشتغل صحفي في جريدة "قزح"، رجل غريب الأطوار، مملوء بالانتكاسات والخيبات، حياته مملة، لذلك كثيرا ما نجده يناضل في هذه الحياة محاولا أن يجد تفسيرا لفشله وانكساره، ليكتشف أن سبب هذا التحطم يرجع إلى أفكاره ومنطقه في الحياة، ولكي يتخلص من هذ المنطق وهذه الأفكار يسلك طريق الجنون.

ومن الشخصيات الرئيسية كذلك شخصية "بدور"، وتعتبر الصديقة المقربة لبهتة، يتشابهان في الأفكار ولهما نفس النزعة، متزوجة منذ 15 سنة، ولم تُرزق بأولاد، وكانت لها مشاكل مع زوجها الملحد "عبد القادر" ، ومن الشخصيات الرئيسية إلى جانب "بدور" شخصية "سكينة" التي تبلغ من العمر 38 سنة، صحفية، لطالما كانت تحلم بالزواج من رجل يكون إطارا في الدولة، إلا أنها تزوجت في نهاية المطاف من عامل النظافة والذي يُطلق عليه في الرواية "زبال"، كانت "سكينة" صديقة مقربة لدابو، أما "دابو" فهو في العقد الرابع من عمره، متزوج وله بنتين، نعتته الكاتبة بضعف الشخصية لأنه يعاني من مشاكل مع زوجته المُترجلة، والتي يؤدي بها الأمر غالبا إلى ضربه وسبّه.

أما الشخصيات الثانوية في المدونة فهي كثيرة، نذكر منها: "راضية" زوجة "بهته" التي لم تكن ترغب بالعيش معه، وكذلك شخصية "علي" زوج "سكينة"، و "بوجمعة" صديق "بهته" الذي يقطن بفرنسا.

أما البنية الزمانية فقد وُفّقت الروائية في توظيفها لعنصر الزمن حين جعلت منه لُعبة فنية بامتياز عن طريق تقنيتيْ الاستباق والاسترجاع ، وقد نقلت من خلالهما الكاتبة بنية الحدث من مستوى إلى آخر، ويتضح توظيفها لتقنية الاستباق جليا في قولها: "...ما إن دخل إلى صالون الحلاقة الذي لا يبعد كثيرا عن مقر الجريدة حتى قفزت بدور إلى ذهنه بتعليقاته الرشيقة على قصة شعره وتسريحته...لعلها ستقول لي: أنت حليق، تشبه هتلر، وأنت بشعر طويل تشبه شارلي شابلن...ما هذا التناقض؟"14، والمُتمعن في هذا المقطع يستنتج أن "بهتة" قد استبق الحدث، وتوقع تعليق "بدور" حول تسريحة شعره.

ويُعتبر الغرض من توظيف الكاتبة لهذه التقنية تشويق وإثارة المتلقي، وربما كسر خطية الزمن واللعب بتسلسل الأحداث، أما تقنية الاسترجاع فقد وظفتها الروائية بكثرة، وذلك من خلال الشخصيات التي كانت تحاول في كل مرة استرجاع الماضي الخاص بها، وفي هذا الشأن تقول زهرة: "تذكر بهته شيئا نسيه منذ 25 سنة، عجبا، كيف أنسى شيئا كهذا؟ كيف لم أتذكر أن أمي أخبرتني أن اسم بهته الذي سمتني به كان من تدبير عمتي...كونها بشرتني بمولود ذكر، وجئت أنت فتولت هي تسميتك..."15، وكأن "بهته" من خلال هذا المقطع يحاول أن يستحضر من ماضيه البعيد حقيقة اسمه، ومن كان السبب في هذا الاسم، الذي كان يمقته ويفكر كثيرا في محاولة تغييره، ظنا منه أنه السبب الرئيسي في معاناته في هذه البلاد.

كما عمدت "زهرة" إلى توظيف تقنيات زمنية أخرى كالمدة والتواتر...وغيرهما، وقد وُفقت كثيرا في توظيفها لتقنية الزمن؛ حيث كان لكل زمان قيمته ووزنه في المتن الروائي.

اتّسم الفضاء المكاني بالتنوع والتعدد، وتراوحَ بين الأماكن المغلقة والمفتوحة التي كانت مسيطرة بقوة، ومن أمثلة الأماكن المفتوحة في المدونة نجد: الشارع، المقهى، سوق الحراش، محطة الحافلات، مزبلة واد السمار...

أما الشارع فهو المكان الذي يلتقي فيه جُلّ طبقات المجتمع، والذي اعتبرته الكاتبة المُعبّر الرئيسي عن واقع حياة الناس، وقد اختارت الشارع الجزائري، الذي صوّرتْ من خلاله حياة الإنسان في بلادنا، ونقلتْ لنا صورا متعددة عن تاريخنا وواقعنا وطريقة عيشنا من خلال: العمل، العلاقات الاجتماعية، الأكل، التسوق،... وكان جل تركيزها على الطبقة الفقيرة، وربما أهم شارع في الجزائر صورته لنا شارع العقيد عميروش، والذي كان في يوم ما مسرحا مضرجا بالدماء، فتقول: "أمارات الموت لازالت ظاهرة على

جسد الشارع رغم الترميمات التي أُجريت له بعد ذاك الانفجار الانتحاري..."16، فقد شهد هذا الشارع مأساة وفاجعة لن تُنسى ولن تُمحى من ذاكرة الشاهدين عليها، مما جعلهم يرون أن الموت مكتوب على جدران ذلك الشارع.

ومن الأماكن المفتوحة في الرواية "المقهى"، وهو القطب المفتوح على حياة الناس كونه ملاذا للراحة والاسترخاء، والفرار من مشاق الحياة ومتاعب العمل؛ إذ يلتقي الناس في المقهى فيتبادلون ويتجاذبون أطراف الحديث، وتستحضر "زهرة" في مدونتها مقهى "ميلك بار" مكان التقاء "بهته" وصديقه "بوجمعة" عند مجيئه من فرنسا إلى الجزائر، قائلة: "ومشينا صوب مقهى ميلك بار بساحة الأمير عبد القادر...وطوال الطريق كان بهته يستمتع بتلك السيجارة..."17، وقد كان جل حديثهما عن الواقع المزري المعيش في الجزائر، واسترجاع بعض الذكريات لهما، وكان "المقهى" المكان المميز للجلوس فيه؛ إذْ يبعث الراحة في النفس، ويخفف من حدة ضغط العمل ومشاكل الحياة.

لم تحظ الأماكن المغلقة في الرواية بحظ وافر مثل الأماكن المفتوحة، ومع ذلك كان لها دور بارز في البناء السردي للمدونة، ولعل أبرز الأماكن المغلقة نجد: البيت، السجن، مقر الجريدة....

انصبّ اهتمام الكاتبة في مدونتها على مقر الجريدة، باعتباره الفضاء الأول والبارز الذي تجري فيه معظم الأحداث، لأن الشخصيات الرئيسة تشتغل في الصحافة والإعلام، وربما هذا الأمر له علاقة بسيرة الروائية الذاتية كونها صحفية وإعلامية جزائرية.

يعدُّ البيت فضاء مغلقا وظفته الكاتبة، لكنها لم تعطه أهمية بالغة بسبب كثرة الأماكن المفتوحة، فتصفُ بيت "بهته" على لسان "بدور"، تقول: "تعرفُ أين يوجد التلفزيون "ماركة فيليبس" وأين توجد نافذة غرفة النوم العصية على الغلق بسبب تشرب إطارها لماء المطر؟، وهي أيضا على علم بجهة المطبخ في آخر ممر الدار..."18، ومن الأماكن المغلقة نجد "السجن"، ويعتبر من الأماكن الموحشة التي تحمل دلالة الرعب والخوف والجريمة، استحضرته الكاتبة لتُبين لنا سبب دخول الإنسان له، فالروائية في مدونتها تحدثت عن سجن النساء في الحراش، فقالت: "...هي الفتاة التي سيستجوبانها في أول تحقيق صحفي مشترك مع عينة من مسجوني مركز إعادة التربية بالحراش..."19، لأن "سكينة" كانت بصدد تقديم مقال صحفي حول وضع السجينات في الجزائر قصد الكشف عن حياة السجن.

بعد دراستي لعنصر الفضاء المكاني، أعتقد أن زهرة ديك –بحسب رأيي- لم تكن موفقة في توظيفها لعنصر المكان؛ خصوصا حين جعلته حقيقيا، وأعطته أبعاده الحقيقية، ولم تجعله غامضا أو خفيا، على عكس الزمن الذي أحسنت توظيفه.

3.5 خصوصية الكتابة النسوية في اللغة :

لقد نهضتْ البنية اللغوية بوظائف جمالية ودلالية مختلفة، توسلتْ بها الروائية لنقل ما عصف بالمجتمع الجزائري والعربي على حد سواء، فكانت اللغة أداة فعَّالة لتكثيف المعنى وإثارة المتلقي .

عمدت الكاتبة زهرة ديك إلى توظيف لغة ليست كأي لغة؛ إذ مارست لعبا ذكيا معها، وعاملت الكلمات برهافة وذائقة عالية، وكأنما أرادت أن تُفاجئ القارئ بنص له جمالياته ورونقه الخاص، وتُعد اللغة التي وظفتها الروائية في متنها المحكي تقنية جمالية، قد يعود سبب توظيف "زهرة" لهذه التقنية الجمالية حبها للكتابة تماما مثل حبها للقراءة؛ أيْ أن تُضمن نصها تلك الأشياء التي صارت تبحث عنها مثلها مثل أغلبية قراء اليوم الذين هم بحاجة إلى أبعاد جمالية وثقافية ومزاجية ونفسية أخرى، ولعل ذاك ما جعل روح الخفة والرشاقة الأسلوبية والسردية طاغية على نصها .

استخدمت المؤلفة لغة السخرية حين أرادت أن تطرح القضايا التي تخص واقع جزائرها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، باعتبار اللغة الساخرة نقدا فنيا للكشف عن عيوب المجتمع، وقد قدمت زهرة ديك في مدونتها نقدا لاذعا للطبقة المخملية وأصحاب المناصب والكراسي والأموال، وتطرح طريقة عيشهم بأسلوب ساخر، وقد يرجع توظيفها لهذا الأسلوب إخراج المكبوتات والتعبير عن التناقضات الحاصلة في مجتمعاتنا؛ حيث تقول في نصها: "في فترة الانتخابات تموت الأشجار رعبا من أن يسوقوها إلى مكاتب الاقتراع في حالة عزوف الغاشي عن أداء واجبه الوطني...."20، وكأنها تُقدم لنا تعبيرا ساخرا من خلال هذا المقطع عن الأحزاب الموجودة في بلادنا، الذين يسعون إلى احتلال المناصب بشتى الطرق، فجاء تعبيرها محملا بدلالات عميقة.

أبدعت زهرة ديك في توظيفها للغة المهجنة، حين مزجت في متنها المحكي بين الفصحى التي يكتب بها أي مبدع، والعامية التي يتكلم بها المجتمع في حياته العامة، والأجنبية التي تتكلم بها فئة النخبة التي تحمل ثقافة غربية، وهذا المزج الذي أحدثته الكاتبة داخل نصها الروائي بين مختلف اللهجات جعل منه أكثر حداثة وعصرنة.

4. خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الورقة البحثية إلى مجموعة من النتائج، أبرزها:

- أن إشكالية مصطلح الأدب النسوي تبقى غير ثابتة ومتعددة الأوجه والأطراف، تختلف باختلاف الدارسين والباحثين كل حسب وجهة نظره.
- أن تأخر ظهور الكتابة النسوية في الجزائر راجع إلى ظروف قاسية مر بها المجتمع الجزائري من استعمار وتقاليد صارمة، إضافة إلى مخلفات الإرهاب في فترة التسعينيات.
- تمكنت الكاتبات الجزائريات من سد الفراغ العاطفي الذي أهمله الرجل في الكتابة اللصيقة بالوجع الخاص للذات وللأسرة الجزائرية والمجتمع.
- نوعت المرأة الجزائرية المبدعة في كتاباتها، وكتبت باللغتين: العربية والفرنسية.
- أثبتت المرأة مكانتها وقدراتها الإبداعية والفكرية من خلال كتاباتها الأدبية النسوية؛ حيث أخذ النص النسوي الجزائري مكانة في المشهد الثقافي العربي والعالمي، وانتزع الجوائز والمراتب الأولى.
- أن الكاتبة زهرة ديك قد أبدعت من خلال مُدونتها في إبراز المكونات الجمالية والتي كانت انطلاقتها من الواقع، وطرحها الأيديولوجي السائد في مجتمعنا عبر العديد من المجالات: سياسيا، اقتصاديا، اجتماعيا من خلال أيديولوجيتها التي تتميز بإبراز العيوب السائدة في المجتمع.
- تعدُّ رواية قليل من العيب يكفي لزهرة ديك إضافة للأدب العربي عموما وللأدب الجزائري خصوصا، تمكّنت من خلالها الكاتبة الغوص في بحر الأنساق الفكرية المضمرة.

*** *** ***

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر:

زهرة ديك: قليل من العيب يكفي، دار بغدادي للطباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

قائمة المراجع:

1- العيد مليكي: الحداثة في الكتابة النسائية بين خصوصية الكتابة وأفق التفاعل مع الآخر، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 8، العدد 4، 2019م.

2- بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1999م.

3- بشير مفتي: جزائريات ينحزن إلى الكتابة أولا... والأنثى ثانيا، جريدة الحياة، الجزائر، 16 أكتوبر 2013م.

4- رضا الظاهر: غرفة فرجينيا وولف، دراسة في كتابة النساء، دار المدى للطباعة والنّشر والتوزيع، سوريا، الطبعة 1، 2001.
5- ريمة لعواس: الخطاب السّردي النسوي العربي المعاصر في المنظور النقدي الذكوري، أطروحة دكتوراه، إشراف: د. علي ملاحي، كلية اللغة العربية الآداب الشرقية، جامعة الجزائر 2، 2019م - 2020م .
6- سعيدة بن بوزة: سوسيولوجية الكتابة النسوية والنقد السوسيولوجي، وقائع الملتقى الدولي الثاني حول الخطاب النقدي المعاصر، منشورات المركز الجامعي، خنشلة، 2006م – 2007م.
7- شريبط أحمد شريبط: نون النسوة في الأدب الجزائري، مجلّة آمال، وزارة الثقافة، الجزائر، العدد 2، ديسمبر 2008م.
8- شكري عزيز الماضي: من إشكاليات النقد العربي الجديد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة 2، 2008م.
9- فريزة رافيل: تمظهرات الكتابة في الخطاب الروائي النسوي المغاربي، مجلة الخطاب، العدد 23، جامعة تيزي وزو 2015م.
10- محمد الصالح خرفي: بين ضفتين، دراسات نقدية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2005م.
10- يمينة عجناك بشى: الكتابة النسائية في الجزائر وإشكالاتها، (قضية المرأة في كتابات زهور ونيسي)، مجلّة الواحات للبحوث والدّراسات، جامعة غرداية، العدد 9، 2010م.

[1] : شكري عزيز الماضي: من إشكاليات النقد العربي الجديد، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة 2، 2008، ص 210.

[2] : شكري عزيز الماضي: نفسه، ص 215.

[3] : شكري عزيز الماضي: المرجع السابق، ص 215.

[4] : رضا الظاهر: غرفة فرجينيا وولف، (دراسة في كتابة النساء)، دار المدى للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، الطبعة 1، 2001، ص 10.

[5] : ريمة لعواس: الخطاب السردي النسوي العربي المعاصر في المنظور النقدي الذكوري، أطروحة دكتوراه، إشراف الأستاذ: د. علي ملاحي، كلية اللغة العربية والآداب الشرقية، جامعة الجزائر 2، 2019- 2020، ص 30.

[6] : بثينة شعبان: 100 عام من الرواية النسائية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، الطبعة 1، 1999، ص 23.

[7] : سعيدة بن بوزة: سوسيولوجية الكتابة النسوية والنقد السوسيولوجي، وقائع الملتقى الدولي الثاني حول الخطاب النقدي المعاصر، 2006، منشورات المركز الجامعي، خنشلة، 2007، ص 371.

[8] : يُنظر، يمينة عجناك بشى: الكتابة النسائية في الجزائر وإشكالاتها، (قضية المرأة كتابات زهور ونيسي)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، العدد 9، 2010، ص 30، 31.

[9] : العيد مليكي: الحداثة في الكتابة النسائية بين خصوصية الكتابة وأفق التفاعل مع الآخر، مجلة إشكالات في اللغة والادب، مجلد 8، العدد 4، 2019، ص 114.

[10] : شريبط أحمد شريبط: نون النسوة في الأدب الجزائري، مجلة آمال، وزارة الثقافة، الجزائر، العدد 2، ديسمبر 2008، ص 20.

[11] : بشير مفتي: جزائريات ينحزن إلى الكتابة أولا...والانثى ثانيا، جريدة الحياة، الجزائر، 16 أكتوبر 2013، ص 15.

[12] : فريزة رافيل: تمظهرات الكتابة في الخطاب الروائي المغاربي النسوي، مجلة الخطاب، العدد 23، تيزي وزو، 2015م، ص 78

[13] : محمد الصالح خرفي: بين ضفتين، دراسات نقدية، دار هومة، الجزائر، د ط، 2005، ص 42.

[14] : زهرة ديك، قليل من العيب يكفي: دار بغدادي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص 119.

[15] : زهرة ديك: المصدر السابق، ص 336.

[16] : زهرة ديك: المصدر السابق، ص 77.

[17] : نفسه: ص 64.

[18] : نفسه: ص 43.

[19] : زهرة ديك: المصدر السابق، ص 96.

[20] : نفسه: ص 04.